أثر الأخلاق في الدعوة إلى الله

تأليف:
د. إبراهيم بن محمد كشيدان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه رسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد فهذه رسالة موسومة بـ: «أثر الأخلاق في الدعوة إلى الله ﷻ». ألقيت في مسجد بن جابر بطرابلس لخمس بقين من ربيع الأول ١٤٣٧هـ.

إن مقام الدعْوَة إلى الله ﷻ أفضل مقامات العَبْد، قال الله ﷻ: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }. [يوسف:١٠٨].

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ! هذِهِ الدَّعْوَةُ الَّتِي أَدْعُو إِلَيْهَا وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا، سَبِيلِي، سُنَّتِي وَمِنْهَاجِي. ودِينِي،وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ، عَلَى يَقِينٍ وَبُرْهَانٍ، أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، أَيْ: وَمَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي أَيْضًا يَدْعُو إِلَى اللَّهِ، فحَقٌّ عَلَى مَن اتَّبَعَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَيُذَكِّرَ بِالْقُرْآنِ. وَقِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عند قوله: أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ: عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، يَقُولُ: إِنِّي عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّي وَكُلُّ مَنِ اتَّبَعَنِي، يَعْنِي أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا عَلَى أَحْسَنِ طَرِيقَةٍ وَأَقْصَدِ هِدَايَةٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-: «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كانوا أفضل هذه الأمّة، أبرّها قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، ولإقامة دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ على آثَارِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسِيَرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ».[1]

وقَوْلُهُ ﷻ: {وَسُبْحانَ اللَّهِ} أَيْ: وَقُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيهًا لَهُ عَمَّا أَشْرَكُوا بِهِ، فَأُنَزِّهُ اللَّهَ وَأُجِلُّهُ وَأُعَظِّمُهُ وَأُقَدِّسُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ

(١) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ١٥٩/١.

شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ عَدِيلٌ أَوْ نَدِيدٌ أَوْ وَلَدٌ أَوْ وَالِدٌ أَوْ صَاحِبَةٌ أَوْ وَزِيرٌ أو مشير، تبارك وتقدس وتنزه وتعالى عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ عُلُوًّا كَبِيرًا، تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً [الإسراء: ٤٤].. {وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}».[1]

«فَمن دَعَا إِلَى الله ﷻ فَهُوَ على سَبِيل رَسُوله ﷺ، وَهُوَ على بَصِيرَة وَهُوَ من أَتْبَاعه، وَمن دَعَا إِلَى غير ذَلِك فَلَيْسَ على سَبيله وَلَا هُوَ على بَصِيرَة وَلَا هُوَ من أَتْبَاعه، فالدعوة إِلَى الله ﷻ هِيَ وَظِيفَة الْمُرْسلين وأتباعهم وهم خلفاء الرُّسُل فِي أممهم وَالنَّاس تبع لَهُم وَالله ﷻ قد أَمر رَسُوله أَن يبلغ مَا أنزل إِلَيْهِ وَضمن لَهُ حفظه وعصمته من النَّاس، وَهَكَذَا المبلغون عَنهُ من أمته لَهُم من حفظ الله وعصمته إيَّاهُم بِحَسب قيامهم بِدِينِهِ وتبليغهم لَهُم، وَقد أَمر النَّبِي ﷺ بالتبليغ عَنهُ وَلَو آيَة ودعا لمن بلغ عَنهُ وَلَو حَدِيثا وتبليغ سنته إِلَى الْأمة أفضل من تَبْلِيغ السِّهَام إِلَى نحور الْعَدو؛ لِأَن ذَلِك التَّبْلِيغ يَفْعَله كثير من النَّاس، وَأما تَبْلِيغ السّنَن فَلَا تقوم بِهِ إِلَّا وَرَثَة الْأَنْبِيَاء

(١) ينظر معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ: ٥١٨/٢، وتفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط١ - ١٤١٩ هـ: ٣٦٢/٤.

وخلفاؤهم فِي أممهم جعلنَا الله ﷻ مِنْهُم بمنه وَكَرمه»[1].

وقَالَ ﷻ:{ادْع إِلَى سَبِيل رَبك بالحكمة وَالْمَوْعِظَة الْحَسَنَة وجادلهم بِالَّتِي هِيَ أحسن} جعل سُبْحَانَهُ مَرَاتِب الدعْوَة بِحَسب مَرَاتِب الْخلق فالمتسجيب الْقَابِل الذكي الَّذِي لَا يعاند الحق وَلَا يأباه يدعى بطرِيق الْحِكْمَة، والقابل الَّذِي عِنْده نوع غَفلَة وَتَأَخر يدعى بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة وَهِي الأمر وَالنَّهْي المقرون بالرغبة والرهبة، والمعاند الجاحد يُجَادِل بِالَّتِي هِيَ أحسن»[2].

فمجال الدعْوَة إلى الله ﷻ أفضل المجالات قال الله ﷻ: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَنْ أَحْسَنُ أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلًا مِمَّنْ قَالَ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامَ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَدَعَا عِبَادَ اللَّهِ إِلَى مَا قَالَ وَعَمِلَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ....، وَقَوْلُهُ: {وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: ٣٣] يَقُولُ: وَقَالَ: إِنَّنِي مِمَّنْ خَضَعَ

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،دار العروبة – الكويت، ط٢، ١٤٠٧ - ٤١٥/١٩٨٧:١.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،دار الكتب العلمية - بيروت: ١٥٣/١.

لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وذَلَّ لَهُ بِالْعُبُودَةِ، وَخَشَعَ لَهُ بِالْإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ»[1].

أيها الأفاضل!

إن المسلم في كل حياته هو داعية، في أقواله وأفعاله، حيثما كان، وعليه أن يتصف ويتحلى بالأخلاق الحميدة، ويجتنب الأخلاق القبيحة، من سَفْسَاف الْأُمُورِ، قَالَ ﷺ: « إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا».[2]

أيها الأحبة!

«الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ. فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ: زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ».[3] وقد قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩]. فصِفَتُهُ ﷺ كَمَا وَصَفَهُ اللهُ ﷻ: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}، فَبِرَحْمَةِ اللهِ يَا مُحَمَّدُ! وَرَأْفَتِهِ بِكَ، وَبِمَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ أَصْحَابِكَ، لِنْتَ لَهُمْ لِتُبَّاعُكَ وَأَصْحَابِكَ فَسَهُلَتْ لَهُمْ خَلَائِقُكَ، وَحَسَّنْتَ لَهُمْ أَخْلَاقَكَ،

(١) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: ٤٢٩/٢٠.

(٢) أخرجه البيهقي في المعجم الأوسط، ٦٧/٧، ٦٩٠٦.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م: ٢٤٩/٢.

حَتَّى احْتَمَلْتَ أَذَى مَنْ نَالَكَ مِنْهُمْ أَذَاهُ، وَعَفَوْتَ عَنْ ذِي الْجُرْمِ مِنْهُمْ جُرْمَهَ، وَأَغْضَيْتَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ لَوْ جَفَوْتَ بِهِ وَأَغْلَظْتَ عَلَيْهِ لَتَرَكَكَ فَفَارَقَكَ، وَلَمْ يَتْبَعْكَ، وَلَا مَا بُعِثْتَ بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ رَحِمَهُمْ وَرَحِمَكَ مَعَهُمْ، فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ، وعن قَتَادَةَ: في قوله ﷻ:{وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩]. قال: إِي وَاللهِ، لَطَهَّرَهُ اللهُ مِنَ الْفَظَاظَةِ وَالْغِلْظَةِ، وَجَعَلَهُ قَرِيبًا رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفًا»[1].

وقال سبحانه: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }.[القلم:٤].

قال سَعْد بْن هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ. قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ» قُلْتُ بَلَى. قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»[2].

مَعْنَاهُ الْعَمَلُ بِهِ وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ وَالِاعْتِبَارُ بِأَمْثَالِهِ وَقَصَصِهِ وَتَدَبُّرُهُ وَحُسْنُ تِلَاوَتِهِ. وقال ﷺ: «إنمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ».[3]

---

(١) جامع البيان: ١٨٦/٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، ٧٤٦.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ: بَيَانُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا الَّتِي مَنْ كَانَ مُتَخَلِّقًا بِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِي قَبُولِ الشَّهَادَةِ عَلَى طَرِيقِ الِاخْتِصَارِ، ٢٠٧٨٢.

ولنا أيها الأحبة في رسول الله ﷺ إسوة حسنة، قال الله ﷻ: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[1].

قال عَبْد اللهِ بْن عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»[2].

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[3].

وقال إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ -رحمه الله-: «يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ إِذَا سَمِعَ شَيْئًا مِنْ آدَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهِ»[4].

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) أخرجه البخاري، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ٣٥٥٩.

(٣) أخرجه الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ، ١٩٨٧.

(٤) الجامع للخطيب: ١٤٢/١.

أيها الأحبة!

ومن الأخلاق المهمة، ولها أثر كبير في الدعوة إلى الله ﷻ.

العلم والحلم، والصبر والرفق، والصدق والحياء، والأمانة والتواضع، والعفة والكرم.

• فأهم الأخلاق العلم، وإذا كَانَت الدعْوَة إلى الله ﷻ أشرف مقامات العَبْد وأجلها وأفضلها فَهِيَ لَا تحصل إلا بِالْعلمِ الَّذِي يَدْعُو بِهِ وإليه، وطلب العلم فريضة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[1].

والعلم المصاحب للعمل له أثر كبير في الدعوة، وحسن الأخلاق، فمن لديه علم يدل الناس على الخير، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، ويضع الأشياء في أماكنها، بخلاف الجاهل، فمن دعا الناس على جهل تجده في تخبط، وضلال، وانحراف فيضل الناس بجهله.

• ومن الأخلاق المهمة للداعية، ولها أثر كبير أيضا الحلم، الَّذِي هُوَ تَوَسُّطٌ بَيْنَ الْغَضَبِ وَالْمَهَانَةِ، وَسُقُوطِ النَّفْسِ، وذلك بأن يملك الإنسان نفسه عند الغضب، ولا يعاجل بالعقوبة. فمن كان حليما تجده متأنيا فلا يعجل، ولا تجد عنده طيْشا، ولا خفَّة، ولا نفور، قال ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: الْمُنْذِر بْن

(١) أخرجه ابن ماجه، بَابُ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ،٢٢٤.

عَائِذٍ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ، وَالأَنَاةُ»[1]. والأناة التأني في الأمور، وعدم العجلة.

• ومن الأخلاق المهمة للداعية، ولها أثر كبير الرفق، وهو معاملة الناس بالرق فيما إذا كان الإنسان الذي يرفق به محلاً للرفق، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»[2]. فمن كان رفيقا، تجده مجتنبا الغلظة والشدة: والعَجَلَة أيضا، وَبعيدا عن الطَيش وَالعُنف.

• ومن الأخلاق المهمة للداعية، ولها أثر كبير الصبر، وهُوَ حبس النَّفس عَن محارم الله، وحبسها على فَرَائِضه، وحبسها عَن التسخط والشكاية لأقداره. يفعل المأمور، ويجتنب المحظور، ويصبر على المقدور. وهذه الثلاثة هي التي أوصى بها لقمان ابنه قال ﷺ: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: ١٧].

فمدار الصبر على هذه الأركان، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوباً[3].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، ١٧.

(٢) أخرجه البخاري، كِتَابُ اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَلَمْ يُصَرِّحْ، نَحْوَ قَوْلِهِ: السَّامُ عَلَيْكَ،٦٩٢٧.

(٣) الوابل الصيب: ٥/١.

فمن تحلى بخلق الصبر لا تجد عنده جَزَعا وَلاهَلَعا وَلا جَشَعا وَلا تَسَخُّطا، فَالصَّبْرُ يَحْمِلُ المتحلي به عَلَى الِاحْتِمَالِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَكَفِّ الْأَذَى.ومن صبر وفي أجره بغير حساب، قال الله ﷻ: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠]. وَقَالَ عُمَرُ -رضي الله عنه-: « وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ»[1].

• ومن الأخلاق المهمة للداعية، ولها أثر كبير الصدق، قال الله ﷻ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}. [التوبة:١١٩]. أي: وكونوا، في الدنيا، من أهل ولاية الله وطاعته، تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة. يعني: مع من صَدَق اللهَ الإيمانَ به، فحقَّق قوله بفعله، ولم يكن من أهل النفاق فيه، الذين يكذِّب قيلَهم فعلُهم.

وإنما معنى الكلام: وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا، كما قال جل ثناؤه: { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين}. [سورة النساء: ٦٩]. وكان ابن مسعود -رضي الله عنه- فيما ذكر عنه يقرؤه: {وَكُونُوا مِن الصَّادِقِينَ}، ويتأوّله: أنّ ذلك نَهْيٌ من الله عن الكذب. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ فِي جِدٍّ وَلَا هَزْلٍ، وَلَا أَنْ يَعِدَ أَحَدُكُمْ صَبِيَّهُ شَيْئًا ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ، اقرؤوا إن شئتم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ.

وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} هَلْ تَرَوْنَ فِي الْكَذِبِ رُخْصَةً؟[1].

قال القرطبي -رحمه الله-: «حَقَّ مَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ وَعَقَلَ عَنْهُ أَنْ يُلَازِمَ الصِّدْقَ فِي الْأَقْوَالِ، وَالْإِخْلَاصَ فِي الْأَعْمَالِ، وَالصَّفَاءَ فِي الْأَحْوَالِ، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَحِقَ بِالْأَبْرَارِ وَوَصَلَ إِلَى رِضَا الْغَفَّارِ، قَالَ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا».

وَالْكَذِبُ عَلَى الضِّدِّ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا». خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ. فَالْكَذِبُ عَارٌ وَأَهْلُهُ مَسْلُوبُو الشَّهَادَةِ»....، وَقَالَ مَالِكٌ -رحمه الله-: لَا يُقْبَلُ خَبَرُ الْكَاذِبِ فِي حَدِيثِ النَّاسِ وَإِنْ صَدَقَ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[2].

فمن صدق في قوله وفعله وفقه الله، وهداه إلى البر.

• ومن الأخلاق المهمة للداعية، ولها أثر كبير الحياء، فخلق الإسلام الحياء، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»[3].

---

(١) ينظر جامع البيان: ٥٥٨/١٤، ومعالم التنزيل: ٤٠١/٢.

(٢) ينظر الجامع: ٢٨٩/٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه، كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْحَيَاءِ ٤١٨٢.

وَالْحَيَاء أشرف الْأَخْلَاق، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»[1].

وقَالَ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[2]. وقوله: «فافعل ما شئت». قيل: معناه الخبر وإن كان لفظه لفظ الأمر كأنه يقول: إذا لم يمنعك الحياء فعلت ما شئت أي: ما تدعوك إليه نفسك من القبيح.

وقيل: معناه الوعيد كقوله تعالى {اعملوا ما شئتم} [فصلت: ٤٠]. فَهو لَفْظٌ يَقْتَضِي التَّحْذِيرَ وَالذَّمَّ عَلَى قِلَّةِ الْحَيَاءِ وَهُوَ أَمْرٌ فِي مَعْنَى الْخَبَرِ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيَاءٌ يَحْجِزُهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ﷻ فَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِعْلُ الْكَبَائِرِ مِنْهَا وَالصَّغَائِرِ». وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي * وَلَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ * وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

---

(١) أخرجه الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ٢٤٥٨.

(٢) أخرجه البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ٦١٢٠.

وقيل: إنَّ الْمُرَادَ أُنْظُرْ إِلَى مَا تُرِيدُ فِعْلَهُ فَإِنْ كَانَ مِمَّا لَا يُسْتَحَى مِنْهُ فَافْعَلْهُ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا يُسْتَحَى مِنْهُ فَدَعْهُ وَلَا تُبَالِ بِالْخَلْقِ. [1].

هَكَذَا كَانَ خُلُق رَسُولِ اللهِ ﷺ.

• ومن الأخلاق المهمة للداعية، ولها أثر كبير الأمانة، {وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}. [المؤمنون: ٨]. أي: حَافِظُونَ، يَحْفَظُونَ مَا ائْتُمِنُوا عَلَيْهِ، وَالْعُقُودُ الَّتِي عَاقَدُوا النَّاسَ عَلَيْهَا، يَقُومُونَ بِالْوَفَاءِ بِهَا، وَالْأَمَانَاتُ تَخْتَلِفُ فَتَكُونُ بَيْنَ اللهِ ﷻ وَبَيْنَ الْعَبْدِ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْعِبَادَاتِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ عَلَيْهِ، وَتَكُونُ بَيْنَ الْعَبِيدِ كَالْوَدَائِعِ وَالصَّنَائِعِ فَعَلَى الْعَبْدِ الْوَفَاءُ بِجَمِيعِهَا». [2]. فالمؤمنون إِذَا اؤْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا، بَلْ يُؤَدُّونَهَا إِلَى أَهْلِهَا، وَإِذَا عَاهَدُوا أَوْ عَاقَدُوا أَوْفَوْا بِذَلِكَ. [3]

(١) ينظر معالم السنن- شرح سنن أبي داود لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية – حلب، ط١،١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م: ١١٠/٤، والاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، (المتوفى: ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٢٨٩/٢، وسبل السلام لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبي إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، دار الحديث: ٦٨٩/٢.

(٢) معالم التنزيل: ٤١٠/٥.

(٣) ينظر تفسير ابن كثير: ٤٦٣/٥.

فاحرص يا عبد الله! على الأمانة، وكن أمينا، في كل شؤونك، واحذر من ضدها من الصفات الذميمة، من الغش والخيانة، قال ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1]، وفي رواية: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[2]. وقال رسول الله ﷺ «من غش فليس مني».[3]. وفي رواية: «ومن غشنا فليس منا»[4].

• ومن الأخلاق المهمة للداعية، ولها أثر كبير التواضع، قال الله ﷻ: {وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَة عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا }.[الإسراء:٣٧-٣٨]. أي: ولا تمش في الأرض مختالا مستكبرا إِنَّكَ لَنْ تقطع الأرض باختيالك، وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا بفخرك وكبرك، وإنما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفخر والخُيَلاء، وقَالَ ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عبدا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»[5].

---

(١) أخرجه البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، ٣٤.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: « من غشنا فليس منا»، ١٠٢.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: « من غشنا فليس منا»، ١٠١.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، ٢٥٨٨.

وقال ﷺ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[1]. وفي رواية: «لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ، وَلَوْ دُعِيتُ عَلَيْهِ لَأَجَبْتُ»[2].

والكراع هو ما دون الكعب من الدابة،»والظاهر أن مراده ﷺ الحض على إجابة الدعوة ولو كانت إلى شيء حقير كالكراع والذراع، وعلى قبول الهدية ولو كانت شيئا حقيرا من كراع أو ذراع[3]. «وفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ، وَتَوَاضُعِهِ وَجَبْرِهِ لِقُلُوبِ النَّاسِ، وَعَلَى قَبُولِ الْهَدِيَّةِ وَإِجَابَةِ مَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، ولَوْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوهُ إِلَيْهِ شَيْءٌ قَلِيلٌ»[4].

• ومن الأخلاق المهمة للداعية، ولها أثر كبير العفة عن الحرام، قال ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ».[5]

---

(١) أخرجه البخاري، كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، بَابُ القَلِيلِ مِنَ الهِبَةِ، ٢٥٦٨.

(٢) أخرجه الترمذي، أَبْوَابُ الْأَحْكَامِ عَنْ رَسُولِ اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَبُولِ الهَدِيَّةِ وَإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، ١٣٣٨

(٣) ينظر نيل الأوطار لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م: ٤١٣/٥.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الكتب العلمية – بيروت: ٤٧٣/٤.

(٥) أخرجه البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ، ٦٤٧٤.

وقَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[1]. فالْعِفَّةُ: تَحْمِلُهُ عَلَى اجْتِنَابِ الرَّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى الْحَيَاءِ. وَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ. وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ، وَالْبُخْلِ وَالْكَذِبِ، وَالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ.

• ومن الأخلاق المهمة للداعية، ولها أثر كبير الكرم، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا».[2] أي: رديئها وحقيرها.

وقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجودَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا».[3]

وقال ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ».[4] وَصَاحِبُ الْخُلُقِ الْوَسَطِ: يَبَنْ طَرَفَيِ الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ مَهِيبٌ مَحْبُوبٌ، عَزِيزٌ جَانِبُهُ، حَبِيبٌ لِقَاؤُهُ. وَفِي صِفَةِ نَبِيِّنَا ﷺ مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ. وَمَنْ خَالَطَهُ عِشْرَةً أَحَبَّهُ.

فمن حسنَ خُلُقه بهذه الأخلاق الطيبة ظهر آثار ذلك في أقواله وأفعاله وسلوكه، فتراه يبذل النَّدَى، وَيكفّ الْأَذَى، وَيحْتمَل الْأَذَى، ويبَذل الْجَمِيل، وَيكفّ الْقَبِيح. ويتَخَلى عن الرَّذَائِلِ، وَيتَحَلى بِالْفَضَائِلِ.

(١) أخرجه البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ، ٦٤٧٥.

(٢) أخرجه معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي في الجامع، بَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ، ٢٠١٥٠.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف،كِتَابُ الْأَدَبِ، مَا ذُكِرَ فِي الشُّحِّ،٢٦٦١٧.

(٤) أخرجه البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ، ٦٤٧٥.

ويطبق هذه الأخلاق الحميدة ، ويعطى صورة طيبة للدعوة الصحيحة، فيقبل الناس على الإسلام والمنهج الصحيح.

والحمد لله رب العالمين